

الترجمة من اللغة العربية وإليها وأثرها
في إغناء اللغة العربية

الأستاذ الدكتور عبدالقادر عابد
أستاذ الجيولوجيا في الجامعة الأردنية
عضو مجمع اللغة العربية الأردني

الخميس 8 محرم 1434هـ- الموافق 22 تشرين الثاني
2012م

المُلخَص

تُعد الترجمة، بالإضافة إلى الاتصال المباشر بين الشعوب، الأساس في نقل المحتوى المعرفي بين الحضارات وتراكمه عبر التاريخ. والترجمة هي المصدر الرئيسي في إغناء اللغة بالألفاظ والمصطلحات الجديدة باستمرار. وهو ما حدث عندما أصبحت اللغة العربية لغة الحضارة عالمياً منذ صدر الدولة العباسية وحتى القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي تقريباً إثر ترجمتها لمحتوى المعرفة في الحضارات السابقة لها. وهو ما حدث أيضاً للغة اللاتينية واللغة الإنجليزية والفرنسية وغيرها في النهضة الأوروبية منذ القرن الخامس عشر الميلادي وحتى الآن إثر ترجمتها لمحتوى المعرفة في اللغة العربية.

وعلى اللغويين أن لا يتشددوا في قبول المعرب من الأسماء والألفاظ والمصطلحات. فقد تُؤخذ كما هي في اللغة الأصلية المنقول منها، أو بتغيير طفيف لا يخرجها عن أصلها، أو بصياغتها على وزن صرفي لتصبح قابلة للاشتقاق. ولا يقال إن المعرب الدخيل سيجعل من العربية لغة مزرية غير منضبطة، ذلك لأن بنيان اللغة العربية شامخ موطن لا يتزعزع بكثرة أعداد الألفاظ المُعرَّبة إليها. وقد ثبت جدوى ذلك في التجربة العباسية، وهو ما انتهى إليه المطاف عند المجمعين المحدثين.

ثم إن التعريب الشامل المفضي إلى جعل العربية لغة التعليم العالي والبحث العلمي ومؤسسات الدولة العلمية والصناعية... إلخ، هو عمل من أعمال الدولة الناهضة لا تقوى على القيام به المجمع اللغوية أو الجمعيات أو الأفراد. ولن تقوم بذلك إلا دولة راغبة في النهضة الشاملة مصممة عليها. وفي تجربة الدولة العربية الإسلامية وتجربة محمد علي وتجربة دول أوروبا الحديثة أمثلة واضحة على صحة ذلك. غير أن الشردمة السياسية في الوطن العربي ومُنْتَجَهَا، الدولة القطرية اللعينة والتبعية، منعت، وما تزال تمنع، أي من هذه الدويلات بتبني عملية التعريب الشامل المفضي إلى النهضة.

١. مقدمة

الترجمة هي نقل المعرفة من لغة إلى لغة أخرى كتابة أو نطقا . وهي لا تختص بلغة دون أخرى، إذ حدثت الترجمة فعلا منذ أقدم العصور بين اللغات المختلفة كما حدث مثلا في نقل ما عند السومريين إلى البابليين تقريبا 1750 قبل الميلاد (22). فإذا كانت الترجمة من اللغات الأخرى إلى العربية فهو التعريب في واحدة من معانيه (الترجمة). غير أن التعريب يعني أيضا سيادة العربية في كل شؤون الحياة. ومن هذا الأخير، تعريب التعليم الجامعي مثلا، أي جعل التعليم العالي عربيا خالصا. ومنها أيضا تعريب الدواوين أي جعلها عربية (1، 7).

جعل الله البشر شعوبا وأما تختلف في لغاتها. (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) (الحجرات 13). (وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافَ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ) (الروم 22). ولما تميّز البشر عن سائر المخلوقات الحيوانية بقدرته على التواصل كتابة ونطقا، ولما كان التواصل ضرورة حتمية بين الأمم والحضارات، سواء أكان ذلك سلما أم حربا، كانت الترجمة ضرورة حتمية أيضا لا يمكن تجنبها. وبهذا التواصل من خلال الترجمة انتقلت أدوات الحضارة والمدنية من أمة إلى أمة أخرى أو من حضارة، إن شئت، إلى حضارة أخرى، ما أدى في النهاية إلى تراكم مؤثر لرقى البشرية جمعا إلى ما وصلت إليه الآن. ولو أن كل لغة أو أمة بقيت منغلقة على نفسها دون تواصل، لما تراكمت المعرفة عالميا إلى ما هي عليه اليوم. فالترجمة بين اللغات والحضارات، في اعتقادي، واحدة من أهم أسس التقدم الحضاري البشري. فالتقدم الكبير الذي حدث عند الآشوريين في بلاد ما بين النهرين لم يكن ليحدث لولا تعدد الترجمات من السومرية إلى الكلدانية إلى الآشورية. و"المعجزة الإغريقية"، كما يحلو للغرب أن يسميها، ما كانت لتحدث لولا نقلهم للمعرفة التي لمصر القديمة

وبلاد ما بين النهرين والفينيقيين والسنسكريتية بالترجمة أو بالعيش بين ظهراي هذه الحضارات (8) . والحضارة العربية الإسلامية قد نقلت ما عند حضارات الإغريق والهند ومصر القديمة قبل أن تنتج وتبدع حضارتها الخاصة بها. وأوروبية الحديثة، ما كانت لتصل إلى واقعها الحالي من التقدم لو أنها لم تترجم وتنتقل بالتواصل المباشر ما كان في الحضارة العربية الإسلامية. إنه بنيان إنساني واحد متطاول متراكم بعضه فوق بعض أساسه المتين نقل المعرفة بين الحضارات والأمم (8).

ومن ثم نستطيع أن ندرك أهمية الترجمة والتواصل . فاللغة المنغلقة على نفسها تموت. والأمة المنغلقة على نفسها تموت. وبالتالي، باتت الترجمة ضرورة من ضروريات التقدم والبقاء.

٢. الترجمة إلى العربية قديما

1.2 سياق تاريخي

بعد أن نزل القرآن الكريم بلهجة قريش العربية العدنانية الشمالية، وبعد توطّد دولة الخلافة، أصبحت هي اللغة العربية بعد أن تلاشت تقريبا جميع اللهجات العربية الأخرى في جزيرة العرب.

ثم اتسعت دولة الخلافة اتساعا كبيرا في فترة قصيرة نسبيا لا تزيد كثيرا على 100 عام. فدخلت فيها أمم كثيرة ذات حضارات ولغات بها كم كبير من المعرفة بمختلف أشكالها التي لا بد للدولة أن تتعامل معها. كذلك أصبحت بنية الدولة أكثر تعقيدا مما كانت عليه في دولة المدينة المنورة. فكان لا بد من النهوض بترتيبها لتستطيع أداء دورها كدولة أولى في العالم آنذاك.

تنبّه الخلفاء في البداية إلى تنظيم دولتهم، فكانت الدواوين مثلا بالفارسية أو اللغة السائدة في تلك البقعة من الدولة، إلى أن جاء الخليفة عبد الملك بن مروان

في أواسط حكم الدولة الأموية فترجم الدواوين جميعها إلى العربية أو إن شئت عرب دواوين الدولة جميعها. الأمر الذي دفع من كان يكتب الدواوين إلى تعلم العربية. ومنذ ذلك الوقت أصبحت العربية هي اللغة الرئيسية في طول دولة الخلافة وعرضها⁽¹⁾.

ومع استقرار دولة الخلافة انتفت القوم إلى العلوم والآداب والمنطق والفلسفة وغيرها التي أصبحت في متناول يدهم أو قريبة منها. فتفجرت حركة ترجمة جارفة كانت واضحة منذ بداية الدولة العباسية إلى أن تحولت إلى مؤسسة علمية يرعاها الخلفاء مباشرة وينفقون عليها من أموال الدولة منذ زمن الرشيد فالمأمون.

بدأت الترجمة بخطوة متواضعة في أيام الأمويين. فقد قام بها الأمير خالد بن يزيد بن معاوية (85 هـ / 704 م) حيث تُرجمت بعض كتب الطب والفلك والكيمياء من مكتبة الإسكندرية على يد الراهب مريانوس⁽²¹⁾ وخاصة الكيمياء. غير أن الأمويين كانوا ما يزالون منشغلين بالفتوحات. وبرغم ذلك ترجم الحجاج بن يوسف الثقفي ديوان الخراج من الفارسية (95 هـ) قام بذلك صالح بن عبد الرحمن، مولى بتي تميم. وترجم عبد الملك بن مروان (86 هـ) الدواوين في دمشق من الرومانية. قام بذلك كاتب الرسائل أبو ثابت سليمان بن سعد. وبهذا، أصبحت اللغة العربية لغة الدواوين في جميع أجزاء دولة الخلافة. ما دفع الشعوب المسلمة غير العربية إلى تعلم لغة القرآن الكريم والحديث الشريف، للعمل بأحكام الشريعة الإسلامية، وللتفاهم مع إخوانهم في الدين.

غير أن حركة الترجمة أخذت شأنًا عظيمًا في ظل الدولة العباسية (133-750 هـ / 656-1250 م). فأصبح لها مترجمون معروفون لا بل أسر تتوارث الترجمة ومؤسسات ترجمة عريقة. ويمكن القول أن أهم عمليات النقل والترجمة قد

جرت في الفترة الواقعة بين الخليفة المنصور ونهايات عهد المأمون (136 هـ/753م - 217 هـ/833م) حيث ترجمت أمهات كتب الأمم السابقة لدولة الخلافة (8، 21).

فمع بدايات الدولة العباسية كان الخليفة أبو جعفر المنصور شغوفاً بالعلم، فأمر بترجمة كتاب السند هند في الفلك والحساب وترجم ابن المقفع كتاب كليلة ودمنة. وفي عهد هارون الرشيد تأسست "خزانة الحكمة" بعد ترجمة كتب الطب القديمة وبعض كتب المنطق وكتاب إقليدس وكتاب المجسطي لبطلميوس وغيرها كثير. وازدادت وتيرة الترجمة في عهد المأمون الذي أنشأ "دار الحكمة" كامتداد لما قام به الرشيد، إلا أنه كان متمسكاً بالاحتكام إلى العقل في كثير من الأمور، فترجمت معظم أعمال أرسطو وغيره في الفلسفة، ما أدى إلى ازدهار علم الكلام للرد على فلسفة الإغريق. غير أن الترجمة في عهده لم تقتصر على كتب الفلسفة بل راسل وابتاع كتب الإغريق خاصة من قبرص والقسطنطينية وغيرها في شتى أنواع العلوم والمعارف حيث كانت تترجم في بيت الحكمة التي أصبحت تحوي كمّاً كبيراً من هذه النفاثس العلمية (7، 24).

2.2 المترجمون ومراكز الترجمة

في البداية كان جل المترجمين من النصارى الذي أتقنوا العربية ولغة أخرى أو أكثر مثل السريانية أو اليونانية أو السنسكريتية أو الفارسية. وقد كان المترجمون النصارى إما نساطرة (أتباع الكنيسة الشرقية) أو يعاقبة (أتباع كنيسة أنطاكية السريانية). وحتى لا يطول بنا المقام في هذا الموضوع الطويل، فإننا نكتفي بذكر أسمائهم ومدارسهم أو مراكزهم التي عملوا بها (8، 21).

أ. مركز جند يسابور

وقد كان أبرز العاملين فيها آل بختيشوع: أبو جبرائيل بختيشوع بن جورجيس بن بختيشوع، وبختيشوع بن جبرائيل بن بختيشوع و بختيشوع بن يحيى. وقد تأثرت بالثقافات الشرقية كالهندية والفارسية والنسطورية . وقد اشتهرت بترجمة الطب والتشريح.

ب. مركز حران

واشتهرت بترجمة الفلك والرياضيات والفلسفة، ذلك لأنها كانت مركز الصابئين أو عبدة النجوم والكواكب السيارة.

ج. مركز الرها ونصيبين

وقد اهتمت بترجمة علوم اللاهوت والفلسفة والموسيقى كما ترجمت أيضا في الرياضيات والعلوم الطبيعية.

د. مركز الحيرة

حيث كان النساطرة الذين نقلوا الطب واللغة والفلسفة خاصة من الثقافة الإغريقية إلى العربية.

ومن أشهر المترجمين في العصر العباسي آل بختيشوع المار ذكرهم ويوحنا بن ماسويه ويوحنا بن البطريق وقسطا بن لوقا وآل حنين وهم حنين بن اسحق⁽²⁾ وابنه اسحق بن حنين وابن أخته حبيش بن الأعصم ومن عمل في مدرستهم من مثل أصطفن بن باسيل وموسى بن خالد ويحيى بن هارون. وقد تميّزت هذه المدرسة بالاهتمام بالمعنى وليس بالترجمة الحرفية على حساب المعنى. وقد قاموا كثيرا بمراجعة وتصويب ترجمات قديمة قام بها آخرون لضبطها ورفع سويتها.

3.2 بيت الحكمة

قد يكون الرشيد هو من وضع النواة الأولى لبيت الحكمة حيث كان يسمى "خزانة الحكمة". ثم تحول إلى بيت الحكمة في عهد ابنه المأمون. فأنشأ له بناء كبيرا جمع فيه الكتب المجلوبة للترجمة والكتب المترجمة والمؤلفة. وفيه أيضا قاعات للترجمة والتأليف وأماكن لإقامة العاملين به للقيام بمهامه وقاعات للحوار والمناظرة وغير ذلك. فأصبح بيت الحكمة مؤسسة علمية بحثية متكاملة كان لها رئيسا يسمى صاحب بيت الحكمة لا يتولاه إلا العلماء النابهون من مثل الخوارزمي الذي تولاه أيام المأمون. وفيه أقسام كثيرة كقسم المكتبة بما في ذلك من إيداع وإعارة، وقسم النسخ والتجليد، وقسم الترجمة والتأليف، وقسم الخرائط والمصورات. أي أنه أصبح بحق مؤسسة شبيهة بجامعة علمية بحثية مرموقة. ومما يجدر ذكره أن هذه المؤسسة كان يصرف عليها من أموال الدولة، فلم تكن مؤسسة خاصة بل عملا رئيسيا من أعمال الدولة.

هذه النقطة الأخيرة غاية في الأهمية. فلو لم تقم الدولة نفسها بوضع كامل ثقلها في نقل المحتوى الحضاري للأمم السابقة لدولة الخلافة، وتركت حركة النقل للجهد الفردي كما يجري في زماننا، لما حدثت النقلة النوعية التي أدت إلى وجود الحضارة العربية الإسلامية. فإذا أريد لنهضة علمية حضارية جديدة أن تحدث في زماننا هذا، فلا بد من تبنى حركة ترجمة شاملة مرتبطة ارتباطا وثيقا بإرادة حقيقة في البحث العلمي المحلي المفضي إلى توطينه محليا في تلك الدولة. وهو غير متوفر حاليا في أي دولة من دولنا العربية الاثنتين والعشرين.

4.2 أثر حركة الترجمة في اللغة العربية قديما

كلنا يعلم مدى استفادة اللغة العربية من حركة النقل التي حدثت في صدر الدولة العباسية. وإليك بعض ذلك على سبيل المثال لا الحصر.

أ. اللغة العالمية الأولى

بعد حركة النقل لأمات كتب الحضارات ثم حركة التأليف الإبداعي الذي أعقب ذلك سريعا، أصبحت العربية بحق لغة العلم والأدب والفلسفة في العالم المعروف آنئذ. قد يقول قائل أن اللغة العربية أصبحت عالمية بسبب أن دولة الخلافة الإسلامية أصبحت الدولة الأولى في العالم. وهو صحيح. غير أن حركة النقل أنتجت آدابا وموسيقى وفلسفة وعلوما طبيعية وتطبيقية راقية جدا لا تضاهى. انظر إن شئت مثلا في طبيعة ما أنتج في كتب أدبية من مثل كتاب ألف ليلة وليلة وكتاب حي بن يقظان لابن طفيل رسالة الغفران لأبي العلاء المعري وأدب الرحلات وغيرها التي تدل على ارتفاع المستوى العقلي الحضاري السائد في هذه المرحلة عند مقارنته بما كتب في الأدب الجاهلي⁽²²⁾.

ب. التنوع الشديد في المعارف التي كتبت بمعنى ألفت بالعربية

فإذا تركنا جانبا حقول المعرفة المرتبطة باللغة العربية نفسها كالنحو والصرف والبديع والبلاغة والعروض والمعاجم... إلخ، وحقول المعرفة المتعلقة بالدين الإسلامي كعلوم القرآن والحديث والفقه... إلخ، إذا تركنا ذلك جانبا ونظرنا في العلوم الأخرى التي أنتجتها العربية أو كتبت بالعربية، فإننا نجد فيها تنوعا هائلا وفي فترة زمنية قصيرة نسبيا. أنظر مثلا ما كتب في حقل الطب: الطب العام، وطب الأطفال، وطب العيون، وطب الأمراض السارية، والطب النفسي، والتشريح والجراحة وأدوات الجراحة، والعقاقير الطبية والمسكنات والنباتات الطبية، والبيمارستانات وغير ذلك كثير من الحقول^(3، 5، 15). وقد وضعت الكتب في علوم الفلك وعلوم الأرض والكيمياء والطبيعة والبصريات وعلم الحيوان والنبات والفلاحة (الزراعة) والرياضيات (الحساب والجبر والهندسة وحساب المثلثات...). وكتب في الموسيقى وعلم الحيل (الميكانيكا). القائمة طويلة⁽¹⁴⁾. ولندرك أهمية هذا التنوع

المعرفي، فإن علينا مقارنة تعدد هذه الحقول بما كانت عليه اللغة العربية في العصر الجاهلي أو حتى عهد الخلافة الراشدة والأموية لنجد أن بينها بونا شاسعا.

ج. المصطلحات

وعلى الرغم من أن المصطلح في اللغة العربية قد بدأ واضحا في القرآن الكريم حيث حُوّلت كلمات عادية لتأخذ معنى اصطلاحيا كالصلاة والزكاة والصيام والجهاد وغيرها، إلا أن قدرا كبيرا من المصطلحات قد دخل إلى العربية في كل فن أو حقل من الحقول التي ذكرناها في نقطة "ب". أما كيفية وضع المصطلح، فأمر يطول شرحه ويحتاج إلى من هو أفضل مني في علوم العربية. حتى إن مجرد ضرب الأمثلة في هذا الموضوع يحتاج إلى مساحة كبيرة لا أظن هذه العجالة تستطيع الولوج إليها. والمعروف أنه لا ترجمة أو تأليف ناجحين دون وجود المصطلح المناسب.

د. النهضة العلمية

لم يطل المقام لحركة النقل والترجمة حتى انبثقت عنها نهضة علمية قوية في كل فن من فنون المعرفة آنذاك. أضرب مثلا واحدا، ليس مقصودا لذاته، للتدليل على سرعة الانتقال من الترجمة إلى الإبداع والنهضة. فإذا كان بيت الحكمة في عصر المأمون الذي توفي سنة 217 هـ يمثل مرحلة قمة الترجمة، فإن العالم الطبيب أبا بكر محمد بن زكريا الرازي الذي توفي سنة 311 هـ قد أبدع مسائل كثيرة غير مسبوقه في الطب منها مثلا رسالته الشهيرة في التفريق عمليا تجريبيا بين الجدري والحصبة التي ظلت تترجم إلى لغات أوروبية المختلفة حتى القرن الثامن عشر الميلادي⁽¹⁵⁾. حدث ذلك في قرابة 80 سنة من الزمان.

ويمكن القول إن القرنين الرابع والخامس الهجريين يمثلان قمة العطاء العلمي العربي الإسلامي الذي امتد نوعا ما إلى القرن السادس وشيئا من القرن السابع الهجري قبل أن يدخل في سبات عميق ما زال مستمرا.

في مرحلة النهضة هذه قدم العلماء العرب المسلمون إسهامات متباينة أدت في النهاية إلى تقدم حقيقي في العلوم. من ذلك

- فقد اكتفى بعضهم بالشرح والتعليق على الكتب المترجمة.
- أما بعضهم الآخر فقد طوّر هذه المعرفة إلى آفاق أرقى.
- بينما قام آخرون بتصحيح النظريات أو الأفكار الكليّة التي كانت سائدة لدى الأقدمين ووضعوا بدائل لها.
- ثم عمد آخرون إلى ابتكار علوم جديدة تماما لم تكن معروفة من قبل بل أبدعها العلماء العرب المسلمون.

٣. الترجمة من اللغة العربية إلى اللغات الأوروبية قديما

قلنا قبل قليل أن دولة الخلافة الإسلامية قد قامت بجهد كبير في نقل المحتوى المعرفي للحضارات السابقة لها في القرنين الثاني والثالث الهجريين، أعقب ذلك نهضة علمية حضارية شاملة خاصة في القرنين الرابع والخامس الهجريين. نتج عن كل ذلك أن أصبح المحتوى المعرفي الحضاري العالمي مكتوبا باللغة العربية وموجودا على شكل كتب ومصورات مبنوثة في حواضر العالم الإسلامي من أقصى شرقه في بغداد إلى أقصى غربه في الأندلس. وبعبارة أخرى، فقد أصبحت أمهات الكتب الهندية والفارسية والمصرية القديمة وبلاد ما بين النهرين والإغريقية موجودة مترجمة باللغة العربية مضافا إليها ما أبدعه العلماء العرب المسلمون في نهضتهم.

ثم ابتليت المنطقة بالحروب الصليبية وحرب المغول التي دامت قرابة ثلاثة قرون بين القرنين الحادي عشر والثالث عشر الميلادية، ما أدى إلى إنهاك الدولة الإسلامية وتشظيها إلى دويلات. ومنذ ذلك الوقت تقريبا بدأ سبات الأمة الذي مازال مستمرا.

ثم انتقلت دورة الزمان حضاريا إلى أوروبا. وقد حدث ذلك الانتقال بنفس الكيفية التي انتقل بها محتوى الحضارات السابقة إلى الحضارة العربية الإسلامية. فقد قام الأوروبيون بترجمة المعرفة العربية وهضموها ثم انتقلوا إلى مرحلة النهضة التي ما زالت مستمرة حتى الآن. هذه الفكرة تقودنا إلى الحديث عن الترجمة من اللغة العربية إلى اللغات الأخرى ولو باختصار شديد.

1.3 طرق الاتصال المباشر بين أوروبا والعرب المسلمين

حدث الاتصال بين دول أوروبا وشعوبها اتصالا مباشرا بالطرق التالية⁽⁸⁾

أ. من خلال عيش العرب المسلمين في جنوب أوروبا

فقد عاش العرب المسلمون في إسبانيا والبرتغال وصقلية ردحا من الزمان، تواصلوا في أثناء ذلك مع الأوروبيين مباشرة. وقد استمر الأمر كذلك حتى نهايات القرن الخامس عشر الميلادي تقريبا. إقرأ إن شئت علاقة ملك صقلية روجر الثاني مع الجغرافي ذائع الصيت الشريف الإدريسي (1100 - 1166م) الذي كتب له كتابه "نزهة المشتاق في اختراق الآفاق" ومعه خريطة العالم المعروف آنذ مرسومة على كرة من فضة⁽⁹⁾.

أ. البعثات العلمية

فقد أرسل الطلبة في بعثات علمية من جامعات كثيرة في بريطانيا وفرنسا وإيطاليا وألمانيا إلى الأندلس على وجه الخصوص. وقد عاد الطلبة إلى جامعاتهم

الأوروبية وتقلوا إليها ما تعلموه في جامعات الأندلس، تماما كما نفعل اليوم من إرسال طلابنا إلى الغرب لتعلم علمهم ونقله إلينا. ولا شك أن قدرا كبيرا من الترجمة قد حدث بواسطة هؤلاء الطلبة الذين درسوا علومهم بالعربية ثم نقلوها إل بلادهم بلغاتهم المختلفة.

2.3 مراكز الترجمة

غير أن قدرا كبيرا من محتوى الحضارة العربية الإسلامية قد انتقل إلى أوروبا من خلال مراكز مشهورة للترجمة على الأخص في صقلية وإيطاليا وإسبانيا. ومن أشهر تلك المراكز:

أ. صقلية وإيطاليا

دخلت صقلية الحكم الإسلامي عام 827م وأعيد احتلالها عام 1090م من النورمانديين الذين كانوا متسامحين دينيا وحضاريا، فبقي العرب المسلمون مادة الحضارة أكثر من قرن ونصف أخرى بحيث دام بقاؤهم المؤثر هناك أكثر من ثلاثة قرون. وقد كان مركز النشاط العلمي والترجمة مركزا في باليرمو حيث ترجمت كتبا مشهورة مثل كتاب الحاوي في الطب لأبي بكر الرازي 1272م. ثم أسس فردريك الثاني جامعة نابولي 1224م حيث ترجمت مجموعة كبيرة من كتب الفلسفة والمنطق والطب التي نقلت مترجمة إلى جامعات أوروبية مثل جامعة بولونيا وباريس. ومن أشهر المترجمين هنا توما الأكويني. ومنها أيضا جامعة ساليرنو في جنوب إيطاليا في القرن الحادي عشر الميلادي حيث وجد بها قسطنطين الإفريقي عربي تونسي الأصل ترجم بنفسه عددا من الكتب. وكان بها أساتذة عرب من الأندلس ومصر وسوريا. وكانت هذه الجامعة طليعة الجامعات التي نقلت الكتب العربية إلى اللاتينية ثم إلى جامعات أوروبية.

أ. جامعات الأندلس

كان في الأندلس أكثر من 15 جامعة منتشرة في مدنها الرئيسية . كان في إسبانيا العرب المسلمون، والمسلمون الإسبان الذين كتبوا بالعربية، والنصارى الإسبان الذين كتبوا بالعربية أيضا، والذين ولدوا لآباء عرب وأمهات إسبانيات، واليهود وغير ذلك . وقد عمل جميع هؤلاء على خلق تطور حضاري غير مسبوق إلا في الشرق الإسلامي . ولما كانت إسبانيا أرقى حضاريا من دول أوروبا، فقد انساب محتوى الحضارة الإسلامية منها إلى أوروبا بطريقتين على الأقل .

■ **أولهما البعثات والوفود العلمية** وغيرها التي كانت تتهل من علم إسبانيا وتعود إلى بلادها . وقد يكون من أشهر ذلك وأقدمه زيارة الراهب جلبرت الذي أصبح فيما بعد بابا روما عام 999م والذي زار قرطبة أيام خلافة عبد الرحمن الناصر للتزود بالعلم . على أي حال، كان إرسال البعثات العلمية إلى إسبانيا ظاهرة علمية تماما كما نفع اليوم من إرسال بعوثنا إلى جامعاتهم⁽⁸⁾ .

■ **وثانيهما حركة الترجمة من العربية إلى معظم دول أوروبا** التي جرت في معظم جامعات إسبانية إلى أن أصبحت طليطلة المركز الأكثر أهمية خاصة بعد سقوطها في يد الفونسو السادس في القرن الثاني عشر . وقد تُرجمت كتب كثيرة في هذه المدرسة من مثل رسائل الخوارزمي وكتاب الغزالي "مقاصد الفلاسفة" و"كتاب السماء والعالم" لابن سينا وغيرها كثير في الفلك والتنجيم والرياضيات والفلسفة والطب...إلخ . قام بالترجمة الأسقف رايموند واليهودي المنتصر يحيى الإشبيلي وغيرهم .

وفي برشلونة ترجم بلاتو التيفولي في القرن الثاني عشر الميلادي مجموعة من كتب العلوم والهندسة والفلك من مثل "رسالة الفلك للبتاني التي نشرت في

نورنمبورغ 1237م. وكان من أشهر المترجمين عموماً جيرار الكريموني الذي كان يرأس أكثر من 70 مترجماً نقلوا العديد من الكتب التي ما زالت موجودة في مكتبات أوروبا الرئيسية. وسيطول بنا المقام كثيراً لو أردنا ذكر جميع ما ترجم. غير أننا لن نترك هذا العنوان دون أن نذكر بالعالم الطبيب المبدع أبي القاسم الزهراوي شيخ الجراحين العرب الذي أبدع عمليات جراحية لم تكن معروفة من قبل وابتكر أدوات جراحة تربو على المائتين⁽¹⁶⁾. وقد ترجمت كتبه أو بعض أجزاءها إلى اللاتينية على يد جيرار الكريموني ثم إلى باليرمو وفرنسا وأكسفورد وغيرها في الفترة الممتدة بين القرن الثاني عشر وحتى القرن التاسع عشر الميلادي وطبعت طبعات كثيرة. وغير ذلك كثير.

ج. بلاد الشام

حيث امتد وجود الصليبيين في بلاد الشام قرابة 200 عام ابتليت به المنطقة واستفادت منه أوروبا اتصالاً قوياً بحضارة متقدمة جداً على ما عندها، فانتقلت الصناعات والطرق العلمية والتتوير. وليس غريباً إذن أن تبدأ تباشير نهضة أوروبا متزامنة مع انتهاء الحروب الصليبية.

3.3 مشكلات في الترجمة من العربية

عانى المترجمون من العربية إلى اللاتينية ولغات أوروبا المختلفة ما عاناه المترجمون إلى العربية من اللغات السابقة لها. وسأتحدث عن مشكلة واحدة فقط هي المصطلح العلمي.

ففي الحالة الأولى، الترجمة إلى اللغة العربية من اللغات السابقة لها، أدخل إلى العربية عدد كبير من المصطلحات سواء أكانت عربية صرفة أم محورة لتصبح على جرس عربي أو غير ذلك (المعرب) (12، 13). وفي عملية مماثلة قام الأوروبيون بأخذ المصطلحات العربية التي لم يجدوا لها المقابل إلى اللاتينية إلى لغاتهم مع تحريف كثير أو قليل. وهو ما يشبه المعرب عندنا. وتستطيع أن تجد شيئاً من هذه المصطلحات المترجمة من العربية في كثير من اللغات الأوروبية حتى اللحظة الحاضرة جرى تحويلها لتتلاءم مع تلك اللغة. ومن أمثلة ذلك لا على سبيل الحصر:

لفظ (صفر) أصبح ينطق زيرو zero بالإنكليزية وسيفر cifer بالبرتغالية، وسيفرا Cifra بالإسبانية وسيفيرا Sifera بالإيطالية، وشيفر بالفرنسية. Chiffre والشيفرا مأخوذة من الصفر العربية.

Algorithm	الخوارزمية
Algebra	الجبر
Admiral	أمير البحر
Tarif	التعرفة
Arcenal	دار الصناعة
Alcohol	العَوَل (الكحول)
Magazin	مخزن

Almanak	المناخ
Arsenic	زرنيخ
Bachelor	بتمام الرؤية
Zaffron	زعفران

وأسماء عدد من النباتات والحيوان

أسماء أكثر من 125 نجما رئيسيا من نجوم السماء من مثل الذنب Deneb الطائر Altair ثعبان Thuban القائد Alkaid الأولى Aloula ، ما زالت موجودة حتى اللحظة على خرائط السماء التي تصدر باللغات الأوروبية المختلفة (17، 23) .

٤. الترجمة ودورها في إغناء اللغة العربية

قلنا سابقا إن من غير الممكن للغة حية أن تعيش مستقلة تماما بمعنى منعزلة عن اللغات الأخرى التي تعاشها. وبالتالي كانت الترجمة ضرورة حتمية لكل لغة. وفي العادة تسير الترجمة من اللغة الأكثر تقدما حضاريا وعلميا إلى اللغة الأقل حظا من التقدم العلمي والثقافي والمدني. هذا ما رأيناه في العناوين السابقة. فعندما كانت الحضارات السابقة للحضارة العربية الإسلامية أكثر تقدما من محتوى الحضارة العربية الإسلامية، كانت الترجمة إلى العربية. وهو بعينه ما حدث من العربية إلى اللاتينية ولغات أوروبية عندما أصبحت العربية تضم محتوى العلم والتقانة والفلسفة والآداب العالمية. وفي كل حالة، فإن اللغة الأقل تأثيرا تستفيد

وترتقي بالترجمة. وهو واضح. وفي هذا العنوان سأتي على بعض جوانب إغناء اللغة العربية من خلال الترجمة قديما وحديثا.

1.4 المصطلح

لا يراودنا شك في أن الترجمة الجيدة تعد نتيجة لوجود المصطلح الجيد . فالمصطلح، وهو في العادة كلمة واحدة أو قد يكون أحيانا أكثر من ذلك، ينبو، عند استعماله، عن جملة كاملة أو قد ينبو عن فقرة كاملة في بعض الحالات. ومن غير المقبول في الترجمة أن يشرح كل مصطلح بجملة، فتطول الترجمة وتترهل ولا يفهم معناها، خاصة عند تكرار المصطلح مرات في الفقرة أو الصفحة أو المقالة. وهو أيضا غير مقبول أو ممكن في الترجمة النطقية أو المباشرة في المؤتمرات أو الخطابات. ومن ثم كان لزاما على حركة الترجمة أن تعنى بتخليق المصطلحات المناسبة في جميع الفنون والحقول المعرفية. وهو ما حدث في حركة الترجمة والنقل المباركة قديما حيث تُرجمت معرفة حضارات الهند وفارس ومصر القديمة والإغريق إلى اللغة العربية. وهو ما حدث عند ترجمة محتوى الحضارة العربية الإسلامية إلى اللاتينية واللغات الأوروبية.

1.1.4 طرق وضع المصطلح

لقد تغلب العرب المسلمون في الماضي على ذلك باتخاذ طرق عدة في وضع المصطلح. ومن ذلك في عجلة لا تعد استقصاء بل أمثلة موضحة:

أولا: إيجاد أصل عربي

وهي على النحو التالي

أ. وضع المصطلح العربي الأصيل

حيث يوجد المترجم أو العالم أو الطبيب كلمة عربية أصيلة تعبر عن المصطلح الذي يريده. ويكون لهذا المصطلح جذره الثلاثي ويمكن التصريف منه بسهولة. وهو المصطلح الأفضل وضعا لانضباطه مع أصول اللغة العربية، ما يريح أهل اللغة. وهي كثيرة جدا لأنها الأصل في الترجمة. ومن أمثلة ذلك:

Ashing	ترميد
Evaporation	تبخير
Condensation	تكاثف
Distillation	تقطير
Streak	حُكاكة
Mineral	معدن
Bed, layer or stratum	طبقة
Aquifer	خزانة (مائية جوفية)
Crust	قشرة
Atmosphere	جو
Infection	التهاب

أ. إيجاد الاسم العربي المقابل للاسم الأجنبي

حيث وضعت أسماء عربية في النبات والحيوان والمعدن مقابلة لما هو موجود في اللغات التي ترجم منها. لقد كانت هذه المهمة صعبة على المترجمين في البداية إلا أنه في التراجم أو المؤلفات اللاحقة كثرت الأسماء العربية المقابلة لما ترجم سابقا وبقي مكتوبا باللغة الأصلية المترجم منها. ومن أفضل من عمل ذلك ابن البيطار في كتابه الجامع لمفردات الأغذية والأدوية⁽⁴⁾. ومن أمثلة ذلك:

لأباين	حُمّاض
فوننج	حبق
أقاقليس	أتل

جـ. وضع اسم عربي لمعنى الاسم الأجنبي بعد ترجمة السوابق واللواحق

فقد ترجم ابن البيطار السابقة poly=polys "كثير". وهي يونانية دخلت إلى اللاتينية ثم إلى لغات أوروبا الحديثة. ومن أمثلة ذلك:

بولوبدونون	polypodium	كثير الأرجل
بولوغاناطن	polygonatum	كثير العقد

ويترجمها المحدثون "عديد أو متعدد".

اللاحقة oid=eides "شبيه". وهي يونانية دخلت إلى اللاتينية ثم إلى لغات أوروبا الحديثة. ومن أمثلة ذلك:

ذفنويداس	dophnoedes	شبيه الغار
مرسنويداس	myrsinoeides	شبيه الآس

وفي اعتقادنا أنه أسلوب موفق، حبذا لو سرنا عليه في الترجمات الحالية للأسماء والمصطلحات.

ثانياً: المعرب

وقد لجأ إليه المترجمون كثيراً خاصة في بدايات عصر الترجمة وفيه اختلاف بين المترجمين وبين العلماء في كتبهم اللاحقة لعملية الترجمة. ونستطيع أن نميز بين نوعين من الألفاظ المعربة:

أ. إبقاء اللفظ على شكله الأصلي

أدخلت ألفاظ كثيرة إلى العربية دون تغيير أو بتغيير بسيط ناتج عن كيفية كتابة الأصوات أو الحروف في اللغات المترجم منها. كان ذلك واضحاً جداً في بدايات عمليات الترجمة حيث كان المترجمون يضعون اللفظ كما في الأصل المترجم ومعه أحياناً معناه العربي. وفي هذه الحالة لا يخضع المصطلح إلى عمليات الاشتقاق والتصريف وقواعد اللغة العربية. غير أنه في مرحلة لاحقة أزيلت بعض الألفاظ الأصلية وبقي اللفظ العربي المقابل. ومن أمثلة

هندسة	geometric	جومطريا
الحكمة المموهة	sophistiism	سوفسطيقا
حساب	arithmetic	أرثماطيقا
تحليل	analytics	أنالوطيقا
فلك	astronomy	أسطرونوميا
شعر	poetica	بوطيقا

أ. التعريب أو المعرب وهو التصرف في اللفظ ليصبح في صيغة عربية قابلة للاشتقاق. وهذا النوع من التعريب في اعتقادي، جيد لأنه يُغني اللغة ويثريها بمصطلحات جديدة ولكنها منضبطة مع أصول اللغة بحيث يمكن وضعها في المعاجم على أساس من جذورها الذي تشتق من اللفظ المعرب. وقد وضع أهل اللغة مجموعة ليست صغيرة من الأبنية الصرفية لمثل هذه الألفاظ المعربة. ومن ذلك:

هندس ومنها مهندس وهندسة، فارسية معربة

بهرج وهي فارسية معربة من نبهرة

دوّن وهي فارسية معربة ومنها الديوان

ينسن معربة ومنها يانسون

زنجر من زنجار

فلسف وهي يونانية معربة

بلورفارسية معربة

زيبق من زئبق

ملغم من ملغمة

وغيرها كثير

2.4 أثر الترجمة في اللغة العربية

في القرون الأولى لنشأة الدولة الإسلامية، قعد علماء اللغة لغتهم العربية فأصبحت واضحة المعالم والبنيان في كتبهم ومعارفهم ومعاجمهم. غير أنه بمحاذاة ذلك، وفي الوقت نفسه تقريبا، كان هناك سيل جارف من حركة الترجمة من اللغات السابقة لدولة الخلافة، يقوم به مترجمون أو علماء ليسوا فعليا من علماء اللغة. فوضعوا الألفاظ أو المصطلحات التي يحتاجونها في ترجمتهم أو تأليفهم

على الطرق التي ذكرنا طرفا منها أعلاه. فكثرت الألفاظ العلمية الجديدة في كل فنون العلم والمعرفة كالطب والفلك والفلسفة وعلوم الطبيعة... إلخ إلى درجة يمكن أن نقول فيها أنه وُجد في تلك الفترة لغتان:

■ **اللغة العربية الأدبية المنضبطة مع قواعد اللغة وأصولها.**

■ **اللغة العلمية التي احتوت على المصطلحات المعربة التي أدخلت إلى العربية.** وقد قاوم اللغويون هذا المد الجارف وأنكروا فعله في محاولة لإبقاء اللغة العربية نقية مستقيمة محافظة على أصولها.

ولو أن المترجمين والعلماء المؤلفين المبدعين توقفوا عند وضع المصطلح حتى يجيزه اللغويون، لما اغتنت العربية بالآلاف من الألفاظ الجديدة، ولما حدثت هذه الطفرة العلمية الحضارية العربية الإسلامية المباركة. ولما استطاعت الدولة الإسلامية النهوض بهذا القدر التاريخي من تسنّم مسيرة الحضارة العالمية واحتوائها والنبوغ فيها ثم نقلها إلى ما أعقبها من حضارات، حتى أصبح العلم في تلك المرحلة من تاريخه عربيا بحق.

يقول الشهابي في امتداح عمل المعرّبين "من الواضح أن هؤلاء النقلة لم يجمدوا في أداء مهمتهم، بل ساروا على مذهب القائلين بضرورة الدوام على الاشتقاق والتعريب لكي تنمو اللغة وتتسع للعلوم الدخيلة. ولو اتبعوا هم وعلماء العرب من بعدهم رأي هؤلاء المتشددين من علماء اللغة ووقفوا عند ما دون السماع من عرب الجاهلية والمخضرمين، لفقدت العربية ألّوفا من أسماء الأعيان ومن المصطلحات العلمية".

لقد كانت اللغة العلمية في كتب الأفذاذ العرب المسلمين كابن سينا وابن البيطار وأبو بكر الرازي والبيروني وغيرهم كثير، لغة إخبارية سهلة مشرقة خالية

من الزخرفة اللفظية والإيحاء والحشو. ومن ثم لم يجد المترجمون منها إلى اللاتينية واللغات الأوروبية إبان النهضة العلمية الأوروبية، عنتا في الترجمة، بل كانت مهمتهم سهلة لا تحتاج إلى لغويين للقيام بذلك. وهو ما أسهم كثيرا في عملية نقل العلم إلى أوروبا.

وهذا مثال من كتاب الجماهر للبيروني⁽¹¹⁾ كُتب في القرن الخامس الهجري. وفي النص يفرّق البيروني بين الماس والكوارتز بلغة سهلة واضحة كما ذكرنا.

".... وليس بعيدا عن قلعة بأرض الهند ما حُمِلَ إليّ من أحجار صغار وكبار في طول الأثملة وأقل، يميل بياضها إلى قليل حمرة وشفاف يسير، شابهتُ بها الجَمْسِيَت، كلها كالتعاويز المصنوعة على مثال أسطوانة مسدسة الأضلاع، يعني في طرفيها بمخروطين مزلعين متصلين بأضلاع الأسطوانة ملس الوجوه، لم يُشكَّ في أنها مصنوعة معمولة بالحك، حتى رأيت في وجه بعضها حجراً ثابتاً من الوجه من غير جنسها لا شفاف له ولو حُكَّ لسوّاه مع الوجه وإن حُكَّ حولها استبان ذلك للبصر ولم يستو ذلك الاستواء، فعلمتُ أن شكلها طبيعي غير صناعي. وحُكِّي لي وجود مثله في بئر بالجبال القريبة من غزنة"⁽¹¹⁾.

وبرغم ذلك، فقد اعتنت اللغة العربية بعدد وافر من الألفاظ المعربة التي وضعت على أسس صرفية عربية أجازها اللغويين أو أجازوا كثيرا منها. وهي موجودة في معاجمهم المعتمدة كلسان العرب وتاج العروس وغيرها. ونحن اليوم نستعمل هذه الألفاظ ونعتمد عليها كثيرا في حياتنا اليومية الأدبية والعلمية. ومن ثم، لم تكن اللغة العلمية عبئا على اللغة الأدبية الفصيحة، بل مفيدة وداعمة لها. وقد أسهم في كل ذلك، عدة عوامل أذكر منها:

■ **الدولة الواحدة** بحيث كان العالم يجوب كل أرجائها دون أن يسأله سائل. وبالتالي، تنقل العلماء بين حواضر العالم الإسلامي واختلطوا ببسر وسهولة برغم

مشقة السفر . فهذا ابن البيطار، مثلا، ولد في الأندلس وطافها جميعها فخير جبالها وبطاحها وأوديتها، ثم جاب شمال إفريقيا ومصر وبلاد الشام حيث توفي ودفن، بعد أن وضع كتابه أو إن شئت معجمه أو موسوعته "الجامع لمفردات الأدوية والأغذية" النباتية والحيوانية والمعدنية⁽⁴⁾. وهو يحوي أكثر من 3000 لفظ معرب مرتبة ترتيب المعاجم.

■ **الدولة الأولى عالميا** ينظّمها ويسيرها نظام حكم محب للعلم مكرّم للعلماء، ويرأسها خلفاء في المركز وحكام في الحواضر مشجعون للعلم والعلماء . وهو معروف.

■ **اللغة الأولى عالميا** بعد أن تخلّت لغات البلدان التي دخلت في الدولة الإسلامية عن لغاتها الأصلية لصالح اللغة العربية، لغة القرآن أولا ولغة الفاتحين ثانيا. وهو معروف أيضا. وهو ما أشار إليه أبو الريحان البيروني رحمه الله حين قال: "لأن أهجى بالعربية أحب إلى قلبي من أمدح بالفارسية".

أين من ذلك ما نعيشه اليوم؟ فالتشرذم السياسي هو السائد، والحدود عالية جدا لا يكاد الطير يمر منها إلا بجواز سفر وتأشيرة، وأنظمة الحكم والحكام لا تأبه بالعلم والعلماء، ما أدى إلى تدنّي مرتبة اللغة العربية بين لغات العالم. ولعمري، أن ذلك جميعه مانع للنهضة وهو ما نعاني منه.

3.4 الترجمة والمثاقفة والعولمة

نعني بالمثاقفة التأثير المتبادل للمعرفة بين اللغات بحيث تؤثر اللغة وتتأثر بالمحتوى المعرفي في لغة أو لغات أخرى متزامنة معها أو سابقة لها. وقد كانت الترجمة وما زالت الأداة الفاعلة في نقل المعرفة بين اللغات. وسنعود إلى ذلك.

فعندما انتهى الحكم في بلاد ما بين النهرين إلى ملك البابليين حمورابي حول 1750م، وجدوا أن المحتوى المعرفي للسومريين، السابقين لهم، أرقى كثيرا مما

عندهم، فقاموا بشكل بدائي من أشكال الترجمة حيث نقلوا معرفة السومريين إلى بلادهم وأبدعوا بعدها أيما إبداع.

ومن منا لا يعرف تأثير نقل المعرفة بالترجمة من الحضارات واللغات السابقة للحضارة الإسلامية على ثقافة الأمة العربية الإسلامية. قارن بين ما كانت عليه الأمة في آدابها وفنونها وعلومها قبل الإسلام وفي صدر الإسلام حتى وفي العصر الأموي، وبين ما كتب في هذه المعارف بعد استقرار الدولة العباسية. أنظر مثلا في الآفاق التي حلقت فيها كتب من مثل رسالة الغفران لأبي العلاء المعري وحي بن يقظان لابن جبير وكتاب ألف ليلة وليلة. وانظر أيضا في أدب كتب الرحلات التي قام به جغرافيون أفاض من مثل ابن بطوطة وابن حوقل والاصطخري والمقدسي والشريف الإدريسي وابن فضلان والكم الثقافي المعرفي التي نتج عنها. ولك أن تتابع المقارنة في حقول المعرفة الأخرى، لتري المستوى الثقافي الراقى للمتكلمين وكيف قارعوا باقتدار أفكار ومعتقدات الفلسفة الإغريقية، ناهيك عما أبدعوه في حقول العلوم الطبيعية مما أشرنا إلى شيء منه فيما تقدم من هذه العجالة. وسترى في النهاية أن صورة الثقافة العربية الإسلامية قد أصبحت مختلفة تماما عما كانت عليه قبل استقرار هذه الثقافة ونضوجها.

والمثال الأخير هو تأثير الثقافة الأوروبية في الأدب والفنون والفلسفة والعلوم في عصورهم الوسطى وحتى اللحظة بما أنجزته الحضارة العربية الإسلامية. وقد تحدثنا عن طرف من ذلك في بدايات هذا البحث. وقد فصل القول في ذلك الدكتور محمد أبو حسان في كتابه "دور الحضارة العربية الإسلامية في تكوين الحضارة الغربية"⁽⁸⁾. وفيه أمثلة كثيرة جدا توثق عملية النقل من الحضارة العربية. وعادة ما يقارن الباحثون بين رسالة الغفران لأبي العلاء المعري والكوميديا الألهية لدانتي وبين حي بن يقظان لابن طفيل وجزيرة الكنز لروبنسو كروزو والمنقذ من

الضلال للغزالي ونظرية الشك للديكارت وماركو بولو وابن بطوطة وغير ذلك كثير في العلوم الطبيعية والفلسفة والفلك. كل ذلك قد تأتي حدوثه بعد ترجمة المحتوى المعرفي للحضارة العربية الإسلامية إلى اللغة اللاتينية واللغات الأوروبية المختلفة. بقي أن نذكر أن ما يحدث للغة العربية حالياً، وكثير من اللغات الأخرى في العالم، لا يعد مثاقفة بل هو شكل من أشكال الهيمنة. فقد هيمنت اللغة الإنجليزية، على وجه الخصوص، على اللغة العربية وغيرها في عقر دارها مما نراه اليوم ولا يحتاج إلى ذكر أو تنويه. ساعد على ذلك وسائل الاتصال الرهيبة التي نعرفها جميعاً. وساعد على ذلك أنظمة حكم بائسة لم تنهض ولا تحاول النهوض بما يجب عليها في هذا السياق. وشعوب استمرت الظلم والاضطهاد ومن ثم سهولة الانقياد والتبعية. وهو ما يمكن أن يختصر في كلمة واحدة هي عولمة الثقافة، بمعنى هيمنة الثقافة الغربية على باقي الثقافات الأخرى ومنها العربية. أنظر إن شئت إلى الضغط المستمر في بعض المسائل لتصبح مثيلة لما هو موجود في الثقافة الغربية من مثل قضايا تحرير المرأة وقانون الأحوال المدنية والجنس قبل الزواج كأمتلة فقط.

4.4 الترجمة والتعريب والتعليم العالي

قلنا سابقاً أن التعريب بمعناه الحرفي يعني الترجمة من اللغات الأخرى إلى العربية. لكن مصطلح "التعريب" بالمعنى الحديث لم يكن مستعملاً في النهضة العربية الإسلامية بل كانوا يستعملون كلمة "النقل". وعلى الرغم من ذلك، فإن ما حدث كان "تعريباً" شاملاً كاملاً للثقافات السابقة لها بالمعنى الذي نتمنى أن نراه في حاضرنا الذي نعيشه، حيث أصبح المحتوى المعرفي العالمي عربياً خالصاً. فهل يمكن إعادة مثل تلك التجربة في ظل الظروف الحاضرة التي نعيشها؟

والجواب على هذا التساؤل هو بالنفي في اعتقادي لظروف كثيرة تحيط بنا بل وتلفنا وتدثرنا. ومن ذلك.

ولكن قبل الحديث عن الأسباب والظروف، نذكر أن اللغة العربية هي اللغة العربية نفسها التي تُرجم إليها وأدوات التعريب وطرقه وأساليبه التي استعملوها موجودة ويمكن استعمالها إن توفرت الإرادة على فعل ذلك. غير أن الظروف جميعها تقريبا قد تغيرت:

■ **فالشُرْذمة السياسية** قد أبدلت الدولة الواحدة إلى دويلات عديدة لا تستطيع دويلة واحدة منها أن تدعي أنها حامية للغة العربية تبذل الوسع في نهضتها وتقدمها.

■ **والهيمنة الغربية وتبعية أنظمة الحكم لها** واضحة في عدم رغبة أو عدم قدرة هذه الأنظمة على فعل كم مؤثر في حركة التعريب. وكل محاولات التعريب القائمة حالية لا تعدو أن تكون جهدا مكررا مبعثرا. ناهيك عما يحدث من عدم وحدة المصطلح المعرب بسبب تعدد أماكن صنعه في الدويلات المتشردمة، الأمر الذي لم يكن موجودا في التجربة الأولى حيث كان المصطلح موحدا إلى حد بعيد في الآفاق العربية الإسلامية الواسعة⁽²²⁾.

■ **أن صناعة العلوم والتقانة والمعارف الأخرى** ليست عندنا، ومن ثم صناعة المصطلحات الجديدة. وأن هذه الصناعة متسارعة لا سريعة. فغدونا نلهث وراء ذلك كله ولا ندرك منه شيئا.

■ والرابعة أن التعريب الشامل المفضي إلى تعليم عال منتج ومؤثر لا

يمكن أن يحدث إلا في دولة ناهضة . فالنهضة هي الأساس والعكس ليس صحيحا . وحتى هذه اللحظة لا توجد دويلة عربية واحدة ناهضة أو هي على مسار النهوض . فالعبد لا يمكن أن يكون سيدا وهو عبد .

وبرغم ذلك، فأود الإشارة إلى تجربتين حديثتين في التعريب والتعليم العالي هما تجربة محمد علي باشا في مصر وتجربة مجامع اللغة العربية بعد ذلك .

١.٤.٤ تجربة محمد علي باشا في مصر

ساد الأمة سبات عميق بدأ تدريجيا منذ القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي إلى أن أطبق عليها تماما في القرون الأخيرة . فانتشرت الأمية والخرافة بدل العلم والتنوير الذي كان سائدا من قبل . ويبدو أن نهضة شاملة بدأت تدب تدريجيا أيضا في الشعوب الأوروبية متزامنة تقريبا مع مرحلة بيات الأمة الإسلامية، إلى أن أصبحت جارفة في العقود الأخيرة .

ومع نهايات القرن الثامن عشر الميلادي، احتل نابليون بونابرت مصر 1798-1801 . ويبدو أن الفرق بين "الأنا" المصرية حينئذ وما كان عليه الفرنسيون، الذي تجلّى في بعض الأعمال العلمية والأدبية والقانونية للعلماء المصاحبين للحملة الفرنسية، قد أبهر المصريين وأوضح مقدار التخلف الذي تعيشه مصر نسبة لفرنسا وبقية دول أوروبا⁽¹⁹⁾ .

اعتلى محمد علي باشا حكم مصر 1805 - 1848 وكان حكمه مستقلا تقريبا عن الدولة العثمانية في أسطنبول . ويبدو لي من مجموعة من المؤشرات، أنه كان يحمل مشروعا نهضويا شاملا في رأسه يُدخل به مصر إلى مرحلة الحضارة

التي كانت سائدة في أوروبا أو قريبا من ذلك. بمعنى أن إرادة النهضة الشاملة كانت أساسية في نظام حكمه، ما دفع النظام للقيام بمجموعة من الأعمال التي أدت فعلا إلى حدوث ذلك، ولو على مقياس صغير بسبب قصر المدة. ويبدو لي أيضا أنه استلهم التجربة العربية الإسلامية الأولى في النقل المؤدية إلى النهوض الحضاري الشامل. ومن ثم ومن الأعمال التي تدل على ذلك أذكر (20):

أ. إنشاء المدارس المتخصصة: حيث قام في فترة حكمه بإقامة مجموعة من المدارس في شتى فنون المعرفة من مثل

• المدارس الحربية (1825 -) حيث أنشأ عدة مدارس تغطي شؤون الحرب المختلفة.

• مدرسة الطب 1827، والطب البيطري 1828، والصيدلة 1831، والهندسة 1851.

• مدرسة الألسن 1835 التي هدفت، وفعلا أنتجت، مجموعة من القادرين على نقل محتوى المعرفة الغربية إلى اللغة العربية.

أ. الاستعانة بالأجانب واستخدامهم خاصة في بدايات احتكاكه بالغرب.

ج. إرسال البعث إلى الغرب في فنون المعرفة الغربية من العلوم والآداب والقانون وغيرها. وقد بدأ إرسال البعث من 1809 واستمر حتى 1849 عندما أوقف ذلك خليفته عباس الأول.

وقد تُرجمت هذه الأعمال، على أرض الواقع، بنتائج مبشرة بنهضة حقيقية، وبرغم صغرها إلا أنها كانت في الاتجاه الصحيح. ومن ذلك:

▪ حركة تعريب شاملة لا عمليات ترجمة متناثرة مبتورة غير مفيدة أو منتجة.

▪ المترجمون والكتب المترجمة: فقد بلغ عدد المترجمين 70 مترجما أنتجوا 1000 كتاب مترجم في شتى الفنون في 15 سنة هو عمر مدرسة الألسن قبل أن يغلقها عباس الأول. (22)

▪ التدريس بالعربية في المدارس المتخصصة إلى أن أوقف ذلك بعد احتلال الإنجليز لمصر عام 1882.

▪ نقل بدايات التصنيع والبحث العلمي الغربي الذي لم يكن متقدما كثيرا في أوروبا حينئذ من خلال عمل المدارس المتخصصة في الطب والمدارس الحربية. وقد أستطيع الادعاء بأن مصر محمد علي كانت أكثر تقدما علميا وتقنيا من بعض دول أوروبا مثل اليونان وبلغاريا وغيرها. فقد كان بها العديد من مصانع الأسلحة والذخائر والسفن الكبيرة والصغيرة وصناعات القطن والنسيج والجوخ والحريز والآلات المتعلقة بذلك ومعاصر الزيوت ومصانع الحديد والنحاس وغير ذلك كثير. أنظر العدد الكبير من المراجع المتعلقة بذلك في موقع وكيبيديا على الشابكة. (26)

لم تستمر هذه التجربة طويلا، فقد أجهزها عباس الأول 1849 حين تولى الحكم بعد محمد علي، ولم تعد إلى سابق عهدها أيام محمد علي برغم التذبذب صعودا وهبوطا، إلى أن قضي عليها تماما عند دخول الإنجليز إلى مصر 1882. وكما قلت قبلا، فقد كان محمد علي، على ما يبدو، يتمثل مجريات ما حدث في النهضة العربية الإسلامية. ولكن الفارق كان كبيرا في التجريبتين. فدولة الخلافة العربية الإسلامية كانت الدولة الأولى في العالم، لا يجرؤ أحد على

التربص بها. أما في الثانية، فقد كانت مصر دولة صغيرة يتربص بها الاستعمار الغربي وخاصة بريطانيا العظمى حينئذ، إلى أن التهمت لقمة سائغة بعد وقت قصير. فُقضي على هذه التجربة الوليدة. وبناء على ذلك، استمر المد في التجربة الأولى برغم ضعف الخلفاء، وانقطع المد تماما في الثانية بسبب ضياع السيادة وإرادة النهضة.

ولا أراني راغبا في استمرار الحديث في سبر غور ما جرى بعد ذلك. وقد أعود إليه في العنوان الآتي.

طرق التعريب في عهد محمد علي

لا تختلف طرق التعريب كثيرا عما جرى في صدر العصر العباسي، بمعنى أنهم استفادوا من أعمال التجربة الأولى. وهو جيد لا بل مطلوب. ومن ذلك في وضع المصطلح نذكر:

■ وضع مجموعة من شيوخ الأزهر لتخيّر الألفاظ والمصطلحات وضبط الكتابة نحو وأسلوبا. وقد قلّت المحسنات اللفظية كثيرا في الكتب المترجمة بعد ذلك.

■ التوفيق بين المصطلحات الجديدة والمصطلحات القديمة في الفنون المختلفة وخاصة في الطب.

■ الاشتقاق.

■ النحت الذي لم يكن شائعا في كتبهم ومعاجمهم الأولى.

■ ثم المعرب أو التعريب في النهاية عندما يستعصي الأمر على المترجم. وكما جرى في الترجمة الأولى. وقد يكتبون الألفاظ المعربة بأحرف عربية كما

تتطرق في اللغة الأصلية أو قريبا من ذلك بما يتيح الحرف أو الصوت العربي. لم يعجب ذلك اللغويون خوفا على اللغة من التوسع في إدخال الألفاظ والأسماء غير العربية (المعربة بأشكال مختلفة). غير أنني مع القائلين أن لا خوف على العربية من ذلك، فهي محروسة بالقرآن الكريم وذات بنیان شاهق لا يتأثر بكثرة الألفاظ الدخيلة.

لقد أدى كل ذلك إلى نقل العلوم والمعارف الغربية إلى العربية، والاهتمام بالمصطلحات العلمية والحضارية والاعتناء بالمعاجم ثنائية اللغة التي لم تكن موجودة قبل ذلك.

القواميس والمعاجم في تلك الفترة

على الرغم من قصر المدة التي نتحدث عنها، إلا أن مجموعة من القواميس والمعاجم قد جرى صنعها لتساعد في إيجاد الألفاظ اللازمة في عمليات الترجمة والتعريب (19، 20، 22) ومن ذلك:

■ قاموس أليوس بقطر 1829 فرنسي - عربي وفيه سقطات كثيرة.

■ قاموس روفائيل زاخور 1821 وهو إيطالي - عربي.

■ ملاحق الكتب المترجمة في تلك الفترة من العاملين في المدارس المتخصصة بحيث كان يتوجب على كل منهم وضع مسرد بالألفاظ التي يترجمها، ما أدى إلى تجميع كم لا بأس به من المصطلحات.

■ قاموس القواميس الطبية أو قاموس فابر الإنجليزي حيث ترجمه المختصون في المدارس كل يترجم الجزء الذي يعنيه، ثم عرضت المصطلحات على مقابلاتها في قانون ابن سينا وتذكرة داوود الأنطاكي وغيرها، ثم راجعه ورتبه

الشيخ محمد عمر التونسي وسماه "الشذور الذهبية في المصطلحات الطبية" وصدر عام 1851. وغير ذلك من المعاجم.

وخلاصة رأيي في تجربة محمد علي أنها كانت تجربة نهضوية شاملة قامت بها دولة تريد النهضة وتصبو إليها، فخطت لها وسخرت لذلك طاقتها المادية والعقلية حتى تصل إلى النهاية المرجوة. وهو عمل مختلف تماما عن الجهد الفردي المبعثر الذي يحدث الآن من قبل من يسمى بالمفكرين لأن إرادة الدولة ليست معهم أو مع أي منهم إلا إذا كان تابعا لفكر الدولة وما تريده وتخطط له. فهي إذن، مثال مصغر للنهضة الأولى التي حدثت مع الدولة العربية الإسلامية. ومن ثم، فإنني أعتبرها دليلا تاريخيا ثانيا على النهضة الشاملة لا تقوم إلا من خلال دولة تمتلك سيادتها فلا تكون تابعة ولديها الرغبة الأكيدة في النهوض.

٢.٤.٤ . مجامع اللغة العربية ودورها في التعريب والدراسات العليا

يوجد في الوطن العربي الكبير عدد من المجامع لخدمة العربية والاعتناء بها والحفاظ عليها، وهي مرتبة بحسب زمن نشوئها كما يأتي:

- **المجمع العلمي العربي السوري 1919** أيام أمانة الأمير فيصل بن الحسين على سوريا. وهو أقدم المجامع العربية.
- **المجمع العلمي اللبناني 1927**
- **مجمع اللغة العربية في القاهرة 1934**
- **المجمع العلمي العراقي 1947**
- **مجمع اللغة العربية الأردني 1976**
- **المجلس الأعلى للغة العربية في الجزائر 1996**
- **مجمع اللغة العربية بحيفا فلسطين المحتلة 2007**

▪ أكاديمية المملكة المغربية بالرباط

▪ المجمع التونسي للعلوم والفنون والآداب (بيت الحكمة) بتونس

ينسق أعمال هذه المجمع ويربط بينها، عدا مجمع حيفا، اتحاد مجامع اللغة العربية الذي أسس عام 1971.

قد يرى بعضهم في تعدد المجمع صنوا للشردمة السياسية التي نعيشها وأن أعمالها مكررة ومبعثرة وتبتكر مصطلحات متضاربة. أما البعض الآخر فيراها مفيدة ومهمة من باب "أنت على ثغرة من ثغور المسلمين فلا يؤتئين من قبلك" أو كالجندي الواقف على نقطة من حدود بلده يحميها ويمنع دخول الأذى منها. وهكذا، فكل مجمع يزود عن اللغة العربية حيث هو. وهو في اعتقادي أفضل وأصوب من الرأي الأول.

ومن أهداف المجمع الواضحة

▪ رعاية اللغة العربية والاهتمام بها والمحافظة عليها من خلال المؤتمرات والندوات والدوريات والكتب والمنشورات والقوانين والأنظمة... إلخ، أي النهوض باللغة العربية.

▪ إيجاد المصطلح العلمي وتكثيره من خلال وضع المعاجم مثلا.

▪ تعريب التعليم العالي أو الجامعي والدفع بأن تكون اللغة العربية هي لغة التدريس في الجامعات.

▪ وغير ذلك من الأهداف الأخرى الأقل وضوحا.

ليس من شأن هذه المقالة تقييم عمل المجمع إيجابا أو سلبا، ولكننا سنعرض إلى دور المجمع في الترجمة من اللغة العربية وإليها وكيف أثر ذلك في إغناء اللغة العربية. ومن ذلك:

▪ وضع المصطلحات والمعاجم

فالمصطلح جزء أساسي من الترجمة الجيدة وبدونه لا توجد ترجمة حقيقية. ومن ثم فقد اعتنى المجمعون في وضع المصطلحات أيما عناية. فقد ظلوا سنوات بل عقوداً، وما زالوا، وهم يناقشون الأسس التي يبنى عليها وضع المصطلح، حتى أصبحت لديهم منهجية واضحة شبه موحدة في هذا الموضوع، مع الاختلاف أحياناً بين قناعات الأفراد. وفي اعتقادي أن ما توصلوا إليه في النهاية لا يختلف كثيراً عما حدث في الموضوع نفسه في العصر العباسي.

فقد شكّل المعرب من الألفاظ المسألة الخلافية الكبرى في الترجمة قديماً بين أهل اللغة من جهة وبين المترجمين والعلماء من جهة أخرى. غير أن التيار كان جارفاً لصالح المترجمين والعلماء فأدخلت آلاف الألفاظ المعربة على الطريقة التي تحدثنا عنها سابقاً ونشأت اللغة العربية العلمية السهلة المشرقة المفهومة التي يمكن ترجمتها إلى لغة أخرى دون عناء أو حاجة إلى فهم عميق لقواعد اللغة العربية. ولم تتضرر العربية جزاءً ذلك بأن تصبح لغة مزرية منكمشة بل خرجت منتصرة بأن أصبحت لغة العلم والحضارة العالمية. ذلك لأن بنيانها قوي شامخ لا يضيره دخول الألفاظ المعربة بل مما يزيده في غناء وألقا.

وقد حدثت المشادة نفسها في العصر الحديث. فأصر المجمعون في البداية على الاقتصار في المعرب إلا في الضرورة القصوى. وقد كان على رأس المتشددين الشيخ أحمد الإسكندري⁽¹⁰⁾. لكنهم في النهاية أذعنوا لقبوله على غرار ما حدث قديماً. وفي اعتقادي أنه كان يتوجب على المجمعين منذ البداية تبني ما توصلت إليه التجربة العباسية في الترجمة والبناء عليها بما يلائم العصر الحديث. وعلى الرغم من كل ما قلناه، فقد وضعت مجامع اللغة عشرات آلاف المصطلحات في شتى فنون المعرفة وخاصة العلوم الطبية والعلوم الطبيعية

والتطبيقية والتقنية والفلسفية وغيرها. وقد أسعفت هذه المصطلحات، وما زالت تسعف، المترجمين إلى العربية أو منها. وتستطيع أن تجد هذه المصطلحات في المعاجم الكثيرة المتخصصة التي صدرت عن المجامع خاصة مجمع القاهرة أو اتحاد مجامع اللغة العربية كمعاجم الطب والصيدلة والجيولوجيا والكيمياء وعلوم الحياة وغيرها كثير⁽²⁵⁾. وتستطيع أن تجد أعدادا كبيرة من المصطلحات التي وضعت على شكل مسارد ثنائية اللغة للدوائر أو المؤسسات الحكومية من مثل مصطلحات الأرصاد الجوية والمصطلحات العسكرية والمصطلحات الصحية والزراعية وغيرها في الأردن وسوريا⁽¹⁸⁾ والعراق مثلا. ولتسهيل الترجمة في شؤون الحياة اليومية وضعت معاجم ألفاظ الحياة اليومية.

■ استعمال المصطلحات وتوحيدها

يمكن القول أن مصطلحات الحياة العامة كالصحافة والتلفزة والألعاب الرياضية والمسلسلات الفضائية والروايات والشعر... إلخ موحدة إلى حد ما ، إذ يستطيع الإنسان في الأردن مثلا أن يفهم إلى حد كبير ما يقال في مثل هذه الموضوعات في بلد آخر كتونس أو الإمارات العربية المتحدة. وقد لا يكون للمجامع دور في ذلك أو أن يكون دوره مستترا.

غير أن الأمر ليس كذلك عند أهل الاختصاص. فقد أوغلت القطرية للعينة في رفع الحدود عاليا وحرمت العلماء وأهل الاختصاص من الحركة والاختلاط السهل المفضي إلى التلاقح المصطلحي أو العلمي ومنعت الكتاب من الانتشار كما ينبغي له وغير ذلك مما ينصرف جميعه تحت مظاهر التخلف والتبعية. فتقوقع العلماء والجامعات وكتاباتهم وطلبتهم كل في قطره وفي استعمال الألفاظ التي وضعها مجمع ذلك القطر. فالمصطلح السوري مستعمل في سورية وغير مستعمل أو مفهوم في مصر مثلا. وهكذا. ومن ثم، يمكن القول أنه على الرغم

من كثرة المصطلحات التي وضعتها المجامع وتوحيدها في معاجم وقواميس صدرت عن اتحاد المجامع، إلا أن المصطلح العلمي بقي غير موحد . وهو نقيض ما حدث في التجربة الأولى في الدولة العباسية حيث تجد المصطلحات موحدة إلى حد بعيد لأسباب واضحة.

▪ في التعليم العالي والجامعي

لغة تدريس العلوم والهندسة والطب والصيدلة وعلوم الزراعة وغيرها في الجامعات العربية هي الإنجليزية أو الفرنسية إلا في سورية وكثير من جامعات المملكة العربية السعودية وربما اليمن وليبيا . ولا أعتقد بوجود علاقة بين عمل المجامع ولغة التدريس في الجامعات، إذ الأخيرة تعد من أعمال الدولة وليس من عمل المجامع . وعلى أي حال، فإن رغبة المجمعين في سيادة اللغة العربية في كل قطر من أقطار وطننا العربي الكبير، قد دفعت مجمعا كمجمع اللغة العربية الأردني إلى ترجمة عدد جيد من الكتب العلمية التي تدرس في السنة الأولى أو الثانية إلى اللغة العربية في محاولة لإيجاد الكتاب العلمي العربي المناسب للتدريس بالعربية . غير أن التجربة لم يكتب لها النجاح وعاد القوم أدرجهم إلى استعمال الإنجليزية . وقد استهلكت هذه التجربة مالا وجهدا كبيرين لإنتاج عدد محدود من الكتب المترجمة . ولأن العلم يتطور ويتغير، فلا يمكن أن يبقى كتابا واحدا في الموضوع الواحد يدرس فترة طويلة من الوقت، ومن ثم لا بد من ترجمة كتب جديدة باستمرار . وهذا الأمر أكبر من حجم مجمع اللغة العربية الأردني وإمكاناته . والحق، أن هذا العمل هو من واجبات الدولة التي يبدو أنها غير راغبة في التدريس باللغة العربية.

▪ لغة التدريس الجامعي ليست هدفا لذاتها

لا يظنن أحد أن لغة التدريس في الجامعات عموماً هي من أهداف التعليم الجامعي. إذ الهدف الرئيسي من التعليم الجامعي في كل مراحل إيجاد الإنسان القادر على القيام بالأعمال العلمية والفنية والتقنية في بلده ومحاولة التصدي لحل المشكلات المرتبطة بتطور العلم والتقانة في شتى الفنون. وبمعنى آخر إنتاج كم بشري مؤثر قادر على النهوض بالأمة. وهو ما نراه واضحاً في الغرب.

وأستطيع الادعاء أن لا جامعة من الجامعات العربية استطاعت الضلوع بهذا الدور أو حتى الاقتراب منه. فلا الجامعات التي تدرس بالأجنبية ولا تلك التي تدرس بالعربية قد أبدعت شيئاً في هذا الموضوع. وأعتقد أن مرد ذلك عدم رغبة أنظمة الحكم في التحول النهضوي كما ذكرنا. فأنظمة الحكم قد أوجدت قدراً كبيراً من مظاهر أو أشكال الحضارة الغربية كالجامعات ومراكز البحث العلمي ومجالس البحث العلمي والانتخابات والبرلمانات والجمعيات والاتحادات الرياضية وغير الرياضية... إلخ ولكنها دون محتوى حقيقي وليس لها دور فاعل في النهوض بالأمة. كما قال الشاعر:

ألقاب مملكة في غير موضعها كالمهر يحكي انتقالها صورة الأسد

وكخلاصة لهذا العنوان، فإنه جراء كل ذلك تقوم أنظمة الحكم باستيراد العلم استيراداً استهلاكياً تماماً كما تستورد القمح والشعير والسيارة، بدلاً من أن تنتجها محلياً بمعنى عدم رغبتها في توطين العلم والبحث العلمي.

٥. النتائج

مما سبق، يمكن استخلاص النتائج التالية:

- كانت دولة الخلافة العربية الإسلامية تمتلك إرادة النهضة وتسعى إليها بكل وسائلها، ما مكّنها لأن تصبح الدولة الأولى في العالم منعة وحضارة.

■ قامت الدولة العربية الإسلامية ممثلة بالخلفاء أنفسهم بحركة نقل "ترجمة" شاملة للمحتوى المعرفي للحضارات السابقة للحضارة العربية الإسلامية: الهندية والفارسية واللاتينية والإغريقية . ما أدى إلى إدخال عدد كبير جدا من المصطلحات والألفاظ والأسماء غير العربية (المعربة) برغم المعارضة الشديدة من أهل اللغة لما قام به المترجمون والعلماء . وقد نتج عن ذلك لغة أدبية منضبطة بقواعد اللغة ولغة علمية كثر فيها المعرب ولكنها كانت إخبارية سلسة يسهل فهمها والترجمة منها دون ما حاجة إلى تعمق في فهم قواعد اللغة العربية.

■ لذلك أصبحت اللغة العربية لغة عالمية للعلوم والفنون والثقافة حوت جميع مخرجاتها التي وضعت إبان ذلك في الطب والصيدلة والعلوم الطبيعية والتطبيقية والفلسفة والمنطق وأدب الرحلات (الجغرافيا) وغيرها.

■ وحديثا، قام محمد علي في مصر في النصف الأول من القرن التاسع عشر بتجربة نهضوية أخرى تَمَثَّلَ فيها ما حدث في صدر الدولة العباسية من ترجمة ونقل . وقد أصابت النجاح على الرغم من صغر الدولة وقصر المدة، فأعادت الروح للغة وأغنتها بعدد كبير من المصطلحات والألفاظ الجديدة والكتب المترجمة في الفنون المختلفة. غير أنها أنهيت بسرعة بسبب تبعية خلفائه واحتلال الإنجليز .

■ ثم نشأت الدول القطرية وفي عدد منها أنشئت مجامع اللغة العربية التي حاولت، وما زالت تحاول، التعريب بمعنى جعل اللغة العربية اللغة الأساسية في أعمال الدولة ومنها التعليم الجامعي . لقد أغنت المجامع لغتنا العربية بعشرات آلاف المصطلحات الجديدة موجودة في عدد كبير من المعاجم المتخصصة في العلوم والفنون ولغة الحياة اليومية . ساعد في ذلك قبول المجمعين أخيرا بفتح عملية المعرب بعد أن وقفوا في وجهها في البداية إلا للضرورة القصوى.

- لم تفلح جهود المجامع العربية في شيوع التعريب.
- لم تفلح المجامع في توحيد المصطلحات بين الأقطار العربية، على الرغم من أنها كانت موحدة إلى حد كبير في التجربة النهضوية الأولى.

المراجع

- ١ - ابن الأثير ، عز الدين علي ابن أبي الكرم الجزري (555-630 هـ).
الكامل في التاريخ. بيروت 1965.
- ٢ - ابن إسحق، حنين. 1928. كتاب العشر مقالات في العين. تحقيق ماكس مايرهوف، المطبعة الأميرية.

- ٣ - ابن أبي أصيبعة، موفق الدين أبو العباس أمد بن القاسم (600-668 هـ). عيون الأنباء في طبقات الأطباء. تحقيق الدكتور نزار رضا، مكتبة الحياة ببيروت 1965.
- ٤ - ابن البيطار، ضياء الدين. 1291 هـ، الجامع لمفردات الأدوية والأغذية. المطبعة العامرة.
- ٥ - ابن سينا، أبو علي. 1294 هـ. القانون في الطب. المطبعة العامرة.
- ٦ - ابن قتيبة، محمد عبد الله بن مسلم. 1963. أدب الكاتب. تحقيق محي الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية.
- ٧ - ابن النديم، أبو الفرج محمد ابن أبي يعقوب. 1971. الفهرست. تحقيق رضا تجدد. طهران.
- ٨ - أبو حسان، محمد. 2009. دور الحضارة العربية الإسلامية في تكوين الحضارة الغربية، مقارنة مع الحضارتين اليونانية والرومانية. وزارة الثقافة، عمان، الأردن.
- ٩ - الإدريسي، أبو عبد الله محمد بن محمد (560 هـ). نزهة المشتاق في اختراق الآفاق. إيطاليا، 1970.
- ١٠ - الإسكندري، الشيخ أحمد، 1934 وما جاء بعدها في مجلة مجمع اللغة العربية في القاهرة. بدر، عبد الرحيم، 1992. رصد السماء. مؤسسة عبد الحميد شومان، عمان.

- ١١ - البيروني، أبو الريحان محمد بن أحمد (ت 440هـ). الجماهر في معرفة الجواهر. تحقيق جمعية دار المعارف الإسلامية بحيدر آباد الدكن بالهند، 1355هـ.
- ١٢ - الجزائري، طاهر بن صالح. 1337 هـ. التقريب لأصول التعريب. المكتبة السلفية.
- ١٣ - الجواليقي، أبو منصور. 1969. المعرب. تحقيق أحمد محمد شاكر، مطبعة دار الكتب المصرية.
- ١٤ - الخوارزمي، أبو عبد الله محمد بن أحمد. 1895. تحقيق فان فلوتن، ليدين.
- ١٥ - الرازي، أبو بكر محمد بن زكريا (311 هـ). الحاوي في الطب. حيدر آباد الدكن، 1955.
- ١٦ - الزهراوي، أبو القاسم خلف بن عباس (500 هـ). التصريف لمن عجز عن التأليف. لندن 1778.
- ١٧ - الصوفي، أبو الحسين عبد الرحمن بن عمر الرازي: صور الكواكب الثمانية والأربعين. دار المعارف العامة، حيدر آباد الدكن بالهند 1954.
- ١٨ - الشهابي، مصطفى. 1965. المصطلحات العلمية في اللغة العربية. مطبوعات المجمع العلمي السوري بدمشق.
- ١٩ - الشيال، جمال الدين. 1950. تاريخ الترجمة في مصر في عهد الحملة الفرنسية. دار الفكر العربي.
- ٢٠ - الشيال، جمال الدين. 1951. تاريخ الترجمة والحركة الثقافية في عهد محمد علي. دار الفكر العربي.

- ٢١ - عبد الرحمن، حكمت نجيب. 1977. دراسات في تاريخ العلوم عند العرب. جامعة الموصل، العراق.
- ٢٢ - عبد العزيز، محمد حسين. 1990. التعريب في القديم والحديث. دار الفكر العربي، القاهرة
- ٢٣ - عابد، عبد القادر وعلي عبندة، 1985. السماء في الليل. دار الفرقان، عمان.
- ٢٤ - القفطي، جمال الدين أبو الحسين. إخبار العلماء بأخبار الحكماء. لبيزج 1903.
- ٢٥ - مدكور، إبراهيم، المعجمات العربية المتخصصة. مجلة مجمع القاهرة، ج 34، 16-21.
- ٢٦ - **Wikipedia. Org** المراجع الموجودة في هذا الموقع على الشبكة

التعليقات والمناقشات

- د. فتحي ملكاوي / معهد الفكر الإسلامي

رأى أهمية إبراز الوجوه الإيجابية التي يمكن أن يستفاد منها في واقعنا الذي يخص الترجمة المعاصرة، مع الاعتراف بأننا نعاني حالة من الفوضى والتخلف والشرذمة وحالة من عدم الكفاءة في القيام بعمل الترجمة، وهذا يهدد بدوره مصير اللغة العربية.

وأضاف أن معظم ما دار في بحوث هذا المؤتمر كان يميل إلى هذا المعنى الذي ينعى على الأمة مصير لغتها وينذر بشرّ مستطير لهذا المستقبل، وأن هذا من غير الحق في تقويم أنفسنا ولغتنا، فمن العدل في التقويم أن نتحدث عن التحديات ولكن يجب علينا أن نتحدث في الوقت نفسه عن الفرص وما تتيحه لنا هذه الفرص؛ فاللغة العربية ليست في خطر وإنما هي في تصاعد ونمو، ولو أردنا أن نوفق لجوانب النمو والتصاعد فيها لوجدنا أنها في حدّها الأدنى توازي المخاطر التي يحتمل أن تتهددها؛ فلم نصرّ دائماً على ذكر المخاطر والمعيقات أكثر من أي وجه إيجابي آخر؛ خاصة أن المقبلين على دراسة اللغة والاهتمام بها من أبناء هذا الجيل أكثر بكثير من الأجيال السابقة. وإذا أتيح لما يسمى بالربيع العربي أن يسير إلى منتهاه سنجد أن الفرص المتاحة لهذه اللغة أكبر بكثير من أن نتخيّل نهايتها في ثلاثة عقود كما ينذر بعض الباحثين. وإذا نظرنا إلى مراكز تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها لوجدنا أنّها في ازدياد وتشهد إقبالاً كبيراً من كل البلاد شرقاً وغرباً.

- د. إسحق الفرحان

تحدث عن تجربة مجمع اللغة العربية الأردني في الترجمة، فيقول: منذ سنتين نجري اتصالات مع مؤلفين وباحثين ومترجمين لترجم كتباً علمية إلى العربية، ولم نجد دار نشر واحدة أو مؤلفاً إلا ووضع شروطاً تعجيزية؛ فهناك عقبات كبيرة تضعها دور النشر الأجنبية أمام الترجمة إلى اللغة العربية للكتب العلمية المشهورة.

كما نواجه مشكلة التدريس باللغات الأجنبية في المدارس الخاصة منذ أربعين سنة، وقد ارتفعت نسبة هذه المدارس من 8% إلى 40% يدرسون فيها اللغة العربية بشكل مختصر ويدرّسون التربية الإسلامية - مجاملة - بشكل سطحي؛ ورأى أنه لا بد من وقفة لوزارة التربية والتعليم والمجمع في هذا الجانب؛ علماً تكون مؤثرة وتجد صدى إيجابياً.

- د. موسى المعطي

تساءل: هل يجوز لنا في نقابة الأطباء أن نأخذ الكلمات الطبية الأجنبية ونستعملها كما هي مثل: البروستاتا، الروماتيزم، البنكرياس... الخ.

- د. عودة أبو عودة

قال: إن معلمنا الأول في التعريب هو القرآن الكريم حيث وردت فيه كثير من المصطلحات ذات الأصول غير العربية بلسان عربي مبين؛ لذا علينا أخذ المصطلح الأجنبي وتعريبه بأيسر الطرق وأسهلها وأخذ المقابل العربي التام إن وجد.

- رد د. عبدالقادر عابد

في معرض رده على الدكتور الملكاوي قال: لم أكن انتقائياً ولكني نظرت إلى النتائج المطلقة، فمما لا شك فيه أننا في الدولة العباسية أنتجنا لغة متقدمة أصبحت لغة العلم الأولى في العالم، وسيدة اللغات، ولكن علينا الآن أن ننظر إلى وضع الأمة من حيث لغتها وعلمها وجامعاتها؛ فنحن في ذيل العالم علمياً؛ فلا

نهضة ولا صناعة ولا تقانة، وهذا إن دلّ على شيء فيدل على أننا متخلفون علمياً وتكنولوجياً وحضارياً، ويستدلّ بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: "توشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها، فقال قائل: ومن قلة نحن يومئذ يا رسول الله قال: بل أنتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل".

ورأى أنه لا مانع من إدخال المصطلحات الطبية في اللغة العربية بحيث تصبح عربية كما هي أو بعد قولبتها وفق قوالب اللغة العربيّة، فهذا هو التعريب الذي حدث في زمن الدولة العباسية وزمن محمد علي وقد نجحوا فيه أيّما نجاح.

- رد رئيسة الجلسة د. سرى سبيع العيش

فيما يتعلق بموضوع تعريب المصطلحات الطبية رد د. سرى بأنه يمكننا كتابة الكلمتين الأجنبية ومقابلها المعرب مثلاً: (البنكرياس) المعتكلة وهكذا، وترى أنه من الواجب على نقابة الأطباء عقد جلسات مستمرة للتعريف بالمقابلات العربية للمصطلحات الطبية الأجنبية لتبقى هذه المصطلحات مألوفة بين طلبة العلم.